

# منهج الإمام محمد عبده

## في إثبات العقيدة (الالهيات)

مكتوب

د. أشد محمد راشد سليمان  
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية  
أصول الدين والبحوث بالمسعودية



### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المخلوق والمرسلين- سيدنا محمد- وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين. وعلى آله وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

### ثم أما بعد

فقد تشابهت سنة الله في خلقه وتكفلت رحمته تعالى بهم أن يظهر في الأمة الإسلامية - الحرين بعد الحرين- علماً من أعلامها الأفتاد ورائداً من رواد الفكر الإسلامي يحدد لها شبابها في إيمانها ويظهر ساحة أفكارها العقيدة مما علق بها من أوهام وإنحرافات. والأمام محمد عبده من ذلك النوع الذي يوزن بأمره وحده. فأنى توجهت إليه في دراسة شخصيته فابلك في كل جانب من جوانبها علماً بارداً جذيراً بالدراسة والبحث.

ولقد دعاني لإختبار هذا الموضوع- منهج الأمام محمد عبده في إثبات العقيدة- هذه أسباب - من أهمها-

- ١- أن الإمام محمد عبده كان وما يزال موضع خصومة عنيفة بين مادحيه وقادحيه. فهو عند أنصاره محي السنة بميت البدعة وعند خصومه شاذ عن الملة. خارج عن الجماعة. مأسوني بلحد لا يحق لأمثاله إلا حياة النفي والبعد عن وطنه.
- ٢- أن العقيدة من الأساس الذي يقوم عليه سلوك الأفراد وأخلاقهم فإذا صلح الأساس صلح ما يقوم عليه وإذا فسد فسد.
- ٣- أن كثييراً من الباحثين- والذين كتبوا عن الإمام محمد عبده- لم يتناولوا هذا الجانب بالدراسة والبحث بل كان كل تركيزهم على إبراز الجانب الإصلاحى للفرد والمجتمع شعباً وحكومة.
- ٤- أن هذا الجانب هو الوحيد الذي يسرغ لنا أن نحكم له أو عليه وذلك لا يكون إلا

من خلال تصوره هو وأقواله لامن خلال ماكتب عنه.

ومنهج الإمام في إثبات العقيدة يتضمن مباحث ثلاثة- إلهيات نبوت، معاد،  
أو إلهيات وسمعيات.

ولما كان مثل هذا المقال لا يتسع لبيان منهجه كاملاً، لذلك رأيت أن يكون هذا  
البحث في منهجه في الإلهيات- وإن شاء الله يعقبه مقال آخر في النبوت والمعاد-  
السمعيات.

وقد اشتمل هذا البحث على :

أ- مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب إختيارى له.

ب- تمهيد وقد خصصته لتعريف المصطلحات والتي هو موضوع البحث-

ج- الأساس الأول الذي تقوم عليه العقيدة عند الإمام محمد عبده وهو- النظرية  
والتقليد - وفيه تحدثت عن موقفه من التقليد وتأسيس العقيدة على النظر المزدى  
إلى الدين.

و- الأمر الثانى وقد خصصته للحديث عن الله ذاتا وصفات وفيه تحدثت عن أمور  
ثلاثة.

الأمر الأول : معرفة الذات والصفات بالكنه والحقيقة وموقف الإمام محمد عبده.

الأمر الثانى : وليد تحدثت عن صفات الذات الالهية وموقف الإمام محمد عبده من  
هذه الصفات.

الأمر الثالث : موقف الإمام محمد عبده من الصفات الخيرية .

خاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا العرض  
وبيان أوجه التلاقى والاختلاف مع السابقين عليه معتزلة وأشاعره وفلاسفة.

وأدعو الله أن يكون قد وفقت في بيان هذا الأمر

والله من وراء القصد حينئذ ونعم النصير

الباحث

## أولاً ، مفهوم كلمة منهج

يعرف المنهج في اللغة بأنه الطريق الواضح.

يقول صاحب القاموس المحيط: (المنهج: الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج وأتبع وضع، وأوضح والطريق سلكه واستنهج الطريق صار نهجاً كأنهجه فلان سبيل فلان سلك مسلكه...) (١)

والمنهج بهذا المعنى يطلق على الطريق مطلقاً مادياً كان أو معنوياً للوصول إلى الغرض المطلوب ، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرة واحدة بهذا المعنى في قوله تعالى: " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً " (٢)

يقول الامام الرازي: ( وأما المنهاج فهو الطريق الواضح: يقال: نهجت لك الطريق وأنهجت لغتان ) (٣)

واستخدم اللفظ في الحديث بهذا المعنى اللغوي فلم يتجاوز الطريق الواضح أو العظيم أو المحشر أو كون الخلافة حلي منهاج النبوة أي طريقها (٤)

أما المنهج بمعناه العلمي فهو مجموعة القواعد العلمية المنتظمة من أجل الوصول إلى الحقيقة في مختلف العلوم.

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: ( إنه طائفة من القواعد العامة المصوغه من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم ) (٥) ويقول: ( وسعفاء إذن الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة ) (٦) وقد أصاب

١- القاموس المحيط للفيروز آبادي ج ٦ ص ٣١ ط ٢ سنة ١٩٥٣ الخليل.

٢- سورة المائدة آية ٤٨ = ٤٨

٣- التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازي ج ١٢ ص ١٢ ط دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٠م

٤- انظر مسند الامام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٣٠ ج ٢ ص ٤٥٣ ط دار الفكر العربي.

٥- ٦- منهاج البحث العلمي تأليف الدكتور /عبد الرحمن بدوي ص ٣ ط ٣ سنة ١٩٧٧ وكالة المطبوعات بالكويت

الدكتور عبد الرحمن في هذا التعريف للمنهج إلا أن الأمر الذي لا أوافق عليه قط هو قوله: (ولكنه لم يأخذ معتاه الحالي... إلا ابتداءً من عصر النهضة الأوروبية... ليكون في كتابه الاورغنائون الجديد صاغ قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح وبكارت حاول أن يكشف المنهج المؤدى إلى حسن السير بالعقل والبحث عن الحقيقة في العلوم كما يدل على ذلك نفس عنوان كتابه مقال في المنهج وأتى أصحاب بور روبال فاعتوا بتحديد المنهج بكل وضوح وجعلوه القسم الرابع من منطقهم هذا) (١)

ولا أعرف كيف يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي ذلك وهو العالم المبدق المحقق؟ هل لتجاهله فضل العرب...؟ أم لشدة ولائه للغرب؟

أين كانت أوروبا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين حينما كانت حضارة الاسلام وابتكارات المسلمين تعم آفاق الدنيا؟ كانت أوروبا في ظلام التقليد وما عرفت أوروبا حضارة ولا تقدماً ولا نهضة ولا مدنية إلا عندما انتقلت إليها العلوم الاسلامية والحضارة العربية.

ومن العجيب أن الذي يشهد بذلك هم أبناء الغرب في الوقت الذي يشكر فيه أبناء الشرق لحضارتهم وعلومهم والفضل ما شهدت به الأعداء بقول الأستاذ بريغولت في كتابه: (إن روجر سيكون درس العلم العربي دراسة عميقة وأنه لا ينسب له ولا لسميه الآخر أى فضل في اكتشاف المنهج التجريبي في أوروبا ولم يكن روجر سيكون في الحقيقة إلا واحداً من رسل العلم والمنهج الاسلامي إلى أوروبا المسيحية ولم يكف ليكون عن القول بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحققة المعاصرة) (٢).

١- مناهج البحث العلمي د/ عبد الرحمن بدوي ص ٣٠٦.

٢- نقلاً عن مناهج البحث عند مفكرى الاسلام للدكتور علي شمس النشار ص ٢٨٣ ط دار المعارف سنة ١٩٦٦.

ويقول الأستاذ محمد إقبال :

( إن آراء روجر بيكون في العالم أصدق وأوضح من آراء سلفه ومن أين يستمد روجر بيكون دراسته العلمية؟! من الجامعات العلمية في الأنطلس )<sup>(١)</sup>

ويقول الدكتور علي سامي النشار :

( وقد خطا المنهج التجريبي بعد بيكون ومل خطوات مختلفة ومتعددة في عهدنا الحاضر واتخذ صورا أخرى على أيدي الأوروبيين ولكن المسلمين هم أول من قننه - في تاريخ الفكر الإنساني - إلى جرده واتخذوه أساساً لحضارتهم وبهذا كانوا أساتذة الحضارة الأوروبية الحديثة الأولى )<sup>(٢)</sup>

#### ثانياً- التعريف بالإمام محمد عبده

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من آل التركماني. ولد في شبرا من قرى الغربية سنة ١٢٦٦هـ سنة ١٨٤٩ م ونشأ في محلة تعمر بالحجرة وأحب في صباه الفروسية والرماية والسباحة وتعلم بالجامع الأحمدى بطنطا ثم انتقل إلى الأزهر سنة ١٨٦٦ لاتمام دراسته ولقد درس الامام التصوف والفلسفة وباشرها عاليا وكتب فيها وعمل في التعليم وكتب في الصحف ولا سيما جريدة الوقائع المصرية وقد تولى تحريرها.

وأجاد الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنجليز مصر ناوهم وشارك في مناصرة الثورة العربية فسجن ثلاثة أشهر للتحقيق ونفى إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩هـ سنة ١٨٨١ م وسافر إلى باريس فأصدر مع أساتذته وصديقه السيد جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى. وعاد إلى بيروت فأشغل بالتدريس والتأليف وسمع

١- نقلا عن المرجع السابق ص ٣٨٢، ٣٨٣.

٢- مناهج البحث عند مفكري الاسلام ص ٣٨٥.

له بدخول مصر فعاد سنة ١٣٠٦ هـ سنة ١٨٨١م وتولى منصب القضاء - ثم عين مستشاراً في محكمة الاستئناف كمفتياً للديار المصرية سنة ١٣١٧ واستمر بها إلى أن توفي بالاسكندرية سنة ١٣٢٣ هـ سنة ١٩٠٥م ودفن بالقاهرة. (١)

يقول الدكتور عثمان أمين

١ وفي ١٠ من يوليو سنة ١٩٠٥ توفي الأستاذ الامام وهو في أوج نشاطه دون أن يتوافر له الوقت والوسائل لإنجاز جميع مشروعاته الإصلاحية واحتفلت مصر شعباً وحكومة تشييع رفاقه كما كانت وفاته حناذا عاما في جميع أرجاء العالم الإسلامي وأودع جثمانه مقبرة العتيق بالقاهرة ونقش على قبره ما يلي.

﴿ هو الله الباقي ﴾

قد حططنا للمعالي مصعبا \* ودفنا الدين والدنيا معا

هذا دفن الأستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ولد سنة ١٢٦٦ هـ وتوفي ١٣٢٣ هـ سبع وخمسون عاماً قضى أولها في التعلم ومسطها في التعليم وأخرها في إهداء الدين وتفتح المسلمين. (٢)

وقال أحد من كتبوا عنه ( تتلخص رسالة حياته في أمرين الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة ) (٣)

١- أنظر تاريخ الامام محمد عبده جامعه السيد محمد رشيد رضا ط أولى مطبعة المنار سنة ١٣٢٢ هـ ج ١ ص ٣.

٢- رائد الفكر المصري: الامام محمد عبده تأليف د/ عثمان أمين ص ٥٧، ٥٨ ط ٢ سنة ١٩٩٥ مكتبة الانجلو.

٣- أنظر الأعلام للامام خير الدين الزركلي ج ٦ ص ٢٥٢ ج ٧ دار العلم للملايين سنة ١٩٨٦.



أما مؤلفات الاستاذ الامام محمد عبد قهي كثيرة منها ما طبع ومنها ما زال مخطوطاً ومنها ما فقد.

ومن أهم مؤلفاته المطبوعة تفسير القرآن الكريم: لم يتمه وهو المعروف بتفسير المنار بدأه الاستاذ الامام ورقف التفسير عند الاية رقم ١٢٥ من سورة النساء وأتمه الأستاذ محمد رشد رضا، رسالة التوحيد، الرد على هانوتو، رسالة الواردات، حاشية على شرح جلال الدين الدواني للعقائد العنصرية، شرح نهج البلاغة، شرح مقامات البديع الهضاني، الاسلام والرد على منتقديه، الاسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، الثورة العربية كما أنه قام الى جانب التأليف بجانب آخر هو جانب التحقيق.

ومن أهم الكتب التي قام بتحقيقها والتعليق عليها: كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق للامام عمر بن سهلان الساري، كما قام بترجمته كتب كثيرة من أهمها: الرد على الدهريين للسيد جمال الدين الافغانى<sup>(١)</sup>

### \*\*\* ثالثاً، العقيدة

يعرف المخرجاني العقائد بقوله "ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل"<sup>(٢)</sup> ومعنى ذلك أن الدين يقوم على أساسين الأول ما يعتقد الانسان في قلبه ويسمى عقيدة والثاني ما يتعلق بالعمل ويسمى شريعة بقول الامام جلال الدين الدواني: ( المراد بالعقائد ما يتعلق بالفرض بنفس اعتقاده من غير تعلق بكيفية العمل ككونه تعالى حياً قادراً الى غير ذلك من مباحث ألقائ والصفات وتسمى تلك الاحكام اصولاً وعقائد واعتقاده بما يلها الاحكام المتعلقة بكيفية العمل كوجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم وتسمى شرائع وفروعها واحكامها ظاهراً)<sup>(٣)</sup>

- ١- أنظر تاريخ الاستاذ الامام ج. ١، الاعلام خیر الدين الزركلي ج. ٩ ص ٢٥٢ ٢٥٣ ط دار العلم للملايين سنة ١٩٨٦، وائد الفكر المصري الامام محمد عبده للدكتور عثمان أمين ص ٢٩٧ وما بعدها
- ٢- التعريفات للشريف المخرجاني ص ١٣٢ ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٣٨ م.
- ٣- حاشية جلال الدين الدواني على العقائد العنصرية من كتاب محمد عبده بين الكلاسيك والفلاسفة تحقيق د/ سليمان دنيا القسم الاول ص ٢٧ ٢٨ ط البابي الحلبي سنة ١٩٥٨ م

وعلى ذلك فالأمور التي تريد أن نلق مع الإمام محمد عبده لنرى منهجه فيها هي أصول الاعتقاد أو الأصول العقديه بما يتعلق بمباحث الذات والصفات والافعال، أما بالنسبة لأمور الشريعة من صلاة وزكاة وصيام وحج فهذه الأصول بيّنة بطلانها يتوقف العمل بها على العلم بثبوتها وكيفيةاتها.

### الامر الاول : النظر والتقليد

إن أول أمر يقوم عليه منهج الإمام محمد عبده في إثبات العقيدة الاسلامية هو ترك التقليد وتأسيس العقيدة على النظر العقلي .

ويرى الإمام محمد عبده أن الذي أمرنا بالنظر ونهانا عن التقليد هو القرآن الكريم وما ذكر فيه من آيات توجب النظر وتدفع الإنسان إليه وتمنع من التقليد وبين أن التقليد مذموم في كل شيء ويوضح أن التقليد كما يكون في الحق يكون في الباطل يقول الإسفاد الأمام الغاية من هذا العلم - أي علم العقائد - القيام بفرض مجمع عليه وهو معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها مع تنزيهه عما يستحيل إتصافه به والتصديق برسله على وجه اليقين الذي نطمئن به النفس اعتماداً على الدليل لا استرسالاً مع التقليد حسبما أرشدنا إليه الكتاب العزيز لقد أمرنا بالنظر واستعمال العقل فيما بين أيدينا من ظواهر الكون وما يمكن النفوذ إليه من دقائقه تحصيلاً لليقين بما هدانا إليه. ونهانا عن التقليد بما حكي عن أحوال الأمم في الأخذ بما عليه آباؤهم وتبشيع بما كانوا عليه من ذلك واستعانة لهدم معتقداتهم وإمحاء وجودهم الملقى. وعن ما قال فإن التقليد كما يكون في الحق يكون في الباطل وكما يكون في النافع يحصل في الضار فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ولا يحمل بهال الإنسان<sup>(١)</sup>

وهجب أن نلاحظ هنا عدة ملاحظات.

الملاحظة الأولى : أن الإمام يريد أن بين العقيدة لابد وأن تكون قائمة على اليقين وأن

١- رسالة الكفر حيلة للإمام محمد عبده في ٢١ تحقيق مصطفى عبد المنعم عبد الحليم سنة ١٩٦٦ مكتبة قسويق

لخصیصل بعدی فی العقیده عرض عین علی کل مسلم و مسلمة اما الاستعداد بمحریر  
 الاولیه و دفع شبه معاندین و معارضین میری لامام آن حد الامر برص کفایه و واجب  
 علی لامام آن یحیی من یسوم بهد الامر فهو یقول (و حاصل انکلام آن بواجب  
 العینی هو بقاء من ی طریق احد وقد کان حاصله فی زمن نبی و صحابه و ی  
 «حیی» من طریق بخصیصل بعد دین تردع معاندین معاده علی عقول الفاسقین و من  
 هذا بحسب کفایه خصوصاً فی زمان حد بدی عام فیه القسوس علی سبای و حد  
 بدعوی و اساس من یسوم فی الامر و حد کفایه بکفر علی انطباق و و حد من کفایه  
 منی رکان و اساس من هذا عاشقون<sup>۱</sup> یعنون فی موضح حر ان بخصیصل بدلائل  
 و بحسب کفایه و محرم علی لامام «حلال» معاده انقصر منه و آن حد بحسب شبه نظر  
 فیما یم یکن بدینیا هذه<sup>۲</sup>

بکن د کان الامر کما یعنون لامام- من آن بحث فی علم تدریجید هر من  
 کفایه لا یكون الا بعد بدینک رسول الله صلی الله علیه و سلم و صحابه علی حدی آن  
 یم یقول دین الله ولا عن حد من اصحابه بل من الدین عنهم بهم کما یکتفون من  
 الامر من الاقرار بانسان و لا بعد لاحکام الاسلام ولم یصح الفل من حد منهم به  
 کلف مؤمنین بالنظر والاستدلال؛

و یجب لامام عینی مثل هذه الإشرافات بهوایین

احزاب الاول یعنون فیه آن لایات و الاحادیث اندازد علی وجوب بکفر  
 و نظر لانکاد تخصی و من لم یؤمن آن بکفر إند هو لم یخصیص معارف یس لا و یس  
 کل حد یکن من النظر علی بوجه انصوب یحیی آن بتمام بهد الامر من بقوه به علی

محمد عبده بنی الفلاسفة والکلامیین العمیق و یقین د سیمان دیا ص ۹۲ مکتبه غیر البانی

خطابی الطبعة الاولى سنة ۱۹۵۸م

۲ المرجع السابق ص ۶۲

وجه الاتقان والتفصيل، وأحد ذلك أنه لا يتقيد بن لئسمهين وإنما سم يكي دين في  
 رمس النبي وأصحابه لأن الهمة اذ لك كانت في جمع كلمة الإلحادي على أمر واحد،  
 بحسب بظاهر ومطلع دهر فاعين بطريق منه بباريس بمكر وحجود سم بعد ر  
 لحدو في بكنهه حد لروسة، رمس الله عنهم يمينون طريق بيق في حقهم  
 ومواعظهم ومجاوزهم في مجالسهم من لاسعد بشر بعلوم د ن ودينها كان  
 معلن حصصه فاعالين ويحتاج في بروه د ذلك م يكن لئسمهين فبسمه مسم  
 لإسلاد د كثر جهه ر نشر بين الناس و بعد يذهب من كات بريمهم بانكلاو، و حجب  
 إلى نشر بقديم ومعارف بدم مري لعارف وبغره الإسلام ركزه عرسين مسمين عن  
 كثر من النفوس والأموال لاجل ذلك<sup>١١</sup>

فالإمام يرى ن طبعه بغير في بتي بحكم بدينك د كات طبعه بغير بدي  
 كان الربوبي مسم الله عبه وسم مصادبه بدم مسم حشاع بكلمه وبوحيه بالصف  
 برفع ربه الإسلام سم مفتح الأمر في دينك سم د حديث بعد ذلك لصور بديعه في  
 القيام بالثبات بمقيدة وبمها على بظفر طبع اتي ذلك

ويكون لأمام في محوب بثناس وأبنا كان بدم في رمس النبي، مصادبه  
 مويدين بانقيص لالهي بغيرهم من أبو انبيوه، م بعد دين بعد بضميل بوش في  
 الأمر وأستولب المقلد وأفتح باب بمر فاحشيج في دين<sup>٢</sup>

للملاحظة الثانية ثبات بمقيدة لا بد ر ن بكو مائة علو رجه بغير بدي  
 بظن ميه النفس، بكون النفس فيه مسممه، على بديل والبهرار، بكي بوضح  
 مفهوم بغير الذي يرمده لأمام لا بد ن بشر في أن ميل بدم في لئسمهين بالشئ  
 به أربع درجات؛

١- مرجع سابق ص ٢

٢- المرجع السابق ص ٢٩٢

**الأولى** ان يسوى بينهما بصدق والكذب وبغير عنه باشك لا تقبل النفس الى احكم على الشر بصدق ولا مكذب ولا يات او بقى بل بسوى بينهما امكان الامر

اشبه ان عين نفس بى أحد سرى مع الشعور بإمكان نفسه ولكنه مكان لايجزئ جميع الامر لادب معنى هذا ان يكون نفس أميل الى أحد الامرين اكثر من مهله الى نفسه وهذه الحالة تسمى ظناً

**الثالثة** ان يستولي على النفس التعميق بشئ بحيث يذهب عليها ولا يحظر بها غيرة ولو حظر بالبال قابلية وبكى بسى ذلك عن معرفه محققه ولو بامن صاحبها واعنى بى تشكيك وتجويز لانفسه به وهذه الحالة تسمى اعتقاداً مقارب لبصير ويشمل ذلك فى اعتقاد الخلقين لاصحاب بذهب حيث يرسخ فى بؤسهم المعتقدات بمجرد السماع حتى ان كل فرد شئ يصححه مذهبها واحكامها اماها ومقوهمها

**الرابعة** ان تعرب نفس أمراً ما معرفة حقيقته عن طريق بصرها لدى ببدن بى شئ ويضع كل ريب وهذه الحالة تسمى يقينه فكل عدم يحصله الانسان عن طريق البصر ان يكون عملاً يقينياً<sup>١٦</sup>

والذين الذى يطلب لامة محمد عبده هو ان يذكروا فى حاله بربعه وليلين فهو يقول فى هذه السان بصدق بربعه على وجه انفس بدي نظمين به بنقى اعتقاداً على تدبيل لا اسرئالا مع التدبير

**الملاحظة الثالثة** ان بدي بدعو الله لامة محمد عبده لاقاده بيمه فى تعبيده هو لنظر فى ظو هو الكون فى رصه وسمايه وبامن تار انصعه فهو نظر بحسب عن نظر السان عليه كسفر فى جواهر والاخر ص : لا مكان وانجوب يح

• انظر معارج القدس بلاما. القرائى ص ٧٤ ط نسخة مصر ط ١٩٦٦ هـ

### الملاحظة الرابعة أن التمسيد في العهد قد يودي في محو الاعتقاد بوجوب

الصبر مع بله سبحانه كما أنه يودي في محو الوجود لآله بعتيل لا شرب بعد أنعم  
الذي به عنى الاتقان وهي نعمه التفكير والتدبر في الكون في آثار

ويزي لإمام محمد عبده في هذا المنهج لقائم عنى النشر ورون لطيف في مور  
الدين هو منهج الصحابة والسلفين بعدم منهم والامى حيث يعرف

١ ويزي يعرفه كل دفع عنى ربيع مصدر الأول من المصنفين هو ن أهل  
القريب الأول والثاني لم يكونوا يقدرون أحد أي لم يكونوا يحدود بأراء الناس و قوال  
بعضهم بل كان دعوى منهم عنى بيه من دينه يعرف من أي حال كني سأل به بعض  
بها من مسائله ، وكان عند مصدر الأول رضى بله عنهم بلقبوا الناس بدين ببيان  
كتاب بله تعالى وسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الجاهل بالشئ يسأل عن حكم  
الدين فيه أصحاب بله تعالى قال كذا أو جرت منه بيه عنى كذا فإن لم يكر عد  
المستوفى فيه هدى من كتاب أو منه ذكر ما جرى عليه يصحون ومبراء أقصه في حاله ، من  
هذا الهدى أو أحال علي شهره<sup>(١)</sup>

و قد كان لإمام محمد عبده تدوين بله هو منهج الصحابة والسلفين  
أصحاب فريقين الأول والثاني فما هو منهج أصحاب الفريق الثالث والرابع خاصة و  
هذين الفريقين كثر فيهم لاجتهاد برأى والاستنباط واستخراج المبرور من أصولهم  
وكفرت نفسا وتوجدت الفرق الخ

يجيب لإمام محمد عبده عنى ذلك بأن بعضاء بدين تصدوا للاستنباط  
واستخرج المبرور من أصولها كما هو يسبرون عنى منهج الصحابة والسلفين في من  
الدين وهذا نجد أن لإمام محمد عبده سمر في مر هو في غاية الأهمية وهو أنه  
ليس كل من وجد في الفريقين الثالث والرابع كان يسير عنى منهج الصحابة ، فبعض  
ولا كان بعلاسه ومعتبه ، فبعضه يسبرون عنى منهج الصحابة والسلفين مع تباين

- تفسير المنار تأليف سيد محمد تقي ج ٦ ص ٦٦٦ بيه بصره انعمه بلكتاب ص ٩٧٢

منهج كل منهما عن الآخر من أنه يريد أن يبين أن الدين تصحوا بالاستباط واستخراج  
 بفروع من الأصول هم وحدهم دون سواهم الذين كانوا يسيرون على منهج الصحابة  
 والتابعين وهم بعض العلماء ومنهم الأئمة الأربعة  
 يقول الإمام محمد عبده:

(وما نصدق بعض العلماء - لا سباط ولا حكم وإستخراج بفروع من أصولها -  
 ومنهم أئمة الأربعة كانوا يدكروا أحكام بديك على هذا النمط فهم متفقون مع  
 الصحابة والتابعين - عليهم الرضوان -<sup>١</sup> في ذكر الأحكام بديها

ويستدل الإمام محمد عبده على ذلك بما روى عن الأئمة الأربعة من النهي عن  
 الابد بأقوالهم دون معرفة الدليل

قال استاذ الاسام في المناس أنه نقل عن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم  
 النهي عن أخذ بقولهم دون معرفة دينهم ولا من سرك أقوالهم بكتاب به<sup>٢</sup> رآه  
 رسوله إذا ظهرت مخالفة لهما أو لا<sup>٣</sup>

من هذه الأقوال ما ذكره سيد محمد رضا عن الإمام أبي حنيفة والإمام مالك  
 رضي الله عنهما حيث يقول:

(وفي روضة معتد - قيل لأبي حنيفة رضي الله عنه قلت سرًا وكاتب أمك  
 يخالفك قال تركو قولك لكتاب الله ففعلت قال جبر برسوء مخالفة فقال انتركو قولك  
 لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ففعلت قال كان جواب الصحابة بعد قوله فقال: تركوا  
 قولك لقول الصحابة

وروي حافظ المغرب بن عبد البر عن مالك بن أنس قال قال الله تعالى بشر حقن  
 وأصعب فانظروا في ديني فكل ما فوق الكتاب وأما ما بعده وكل ما لم يوافق

١ - ارجع السابق ج ٢ ص ٦٦

٢ - تفسير المنار ج ٢ ص ٦٦

### الكتاب والسنة فانكره<sup>(١)</sup>

وعنى هذا، انهج لدى صار عليه الصحابة واتباعهم من الامام محمد عبده  
قاعده الاصلية (١) على أنه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول حد فى الدين ما لم يعرف دينه  
ويقتنع به<sup>(٢)</sup>

وتم يقف الامام محمد عبده عند هذا بل بعده فذكر رى المتحرفين من العلماء  
والدين يحورون التقنيهم من أصول ندين وعروعه ورد عليهم حيث يقول

وهذا كقول المتأخرين مبنى على أن لامة حاشه لا تعرف من ادين شيئاً لا من  
أصوله ولا من عروعه ولا منجى من كفر هؤلاء المستبين من الاسلام ولا من سريهم  
معرفه ديانته الدينيه من دلائله ولاحكام شرعيه بادلتها وعينها فلا مدوحه  
عن يعرف بجزء تنقيده من الأصول وتنقيده من الفروع نعمته بالآولى<sup>(٣)</sup>

ورد الامام محمد عبده على الرى بردين حدس اجمالى ولاخر تفصيلى فـ  
الرد الاجمالى يقول فيه.

وهذا نفور بحالف لاجماع سلف لامة ومذاهبه لا الدين يحورون اوصافه  
بأقرهم على ما فيه شبهه من الجهن وعالمهم ماوهبه نده من الحق ينطبق عليهم  
قوبه مهابى ولقد برأناهم كبير من اعرى ولاسى بهم جنوب لايقضون بها نهم  
عوى لايصرون بها ونهم آدى لايسمعون بها. وسند كمالهم بل هم أصل وسك هم  
مصدقون<sup>(٤)</sup> وورد أن قنوبهم أى عصوبهم لايقعد الدلائل على الحق وعينهم لاغير  
الاياب نظر استدلال وأسماعهم لاتفهم بمصوحهم فهم تدبر وعسار فهمه صلاب

١- المرجع السابق ج٢ ص ٦٧

٢- المرجع السابق ج٢ ص ٦٦

٣- المرجع السابق ج٢ ص ٦٧ ٦٨

٤- سورة الاعراف يه ١٧٩



المقلدين)<sup>(١)</sup> وأما الرد التفصيلي فإن الامام محمد عبده بين أن الدين الاسلامي منه ماهر عقيدة ومنه ماهر شريعة أمام بالنسبة للعقيدة فلا يجوز التقليد فيها أبداً وأما بالنسبة للشريعة فمنها أصول ومنها فروع فيالنسبة للأصول لايجوز التقليد فيها أبداً فهي واضحة جلية بنفسها وأما فروعها فيعذر العامي بجهلها وإذا أقبيل العامي على أمر منها فلا بد من التعرّض فيها.

يقول الامام محمد عبده:

١) يجب النظر في اثبات العقائد بقدر الامكان ولا يشترط فيه تأليف الادلة على قوانين المنطق ولا التزام طريق المتكلمين في مثل بناء الدليل على فرض انتفاء المطلوب ولا إيراد الشكوك والاجوبة عنها بل أفضل الطرق فيه وأمثلها طريق القرآن الكريم في عرض الكائنات على الأنظار وإرشادهم الى وجه الدلالة فيها على وحدانية مبدعها وقدرته وحكمته. هذا هو حكم الله الصريح في المسألة فإنه أمر بالعلم بالترجيح فقال: "فاعلم أنه لا إله الا الله"<sup>(٢)</sup> وقال: "إن الظن لا يغني من الحق شيئا"<sup>(٣)</sup> وطالب بالبرهان وجعله آية الصدق: "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"<sup>(٤)</sup> (٥)

ثم بين الأمر فيما يتعلق بالأحكام ومسائل الحلال والحرام فأثبت أن التقليد فيها ممنوع أيضاً حيث يقول:

(وأما الأحكام ومسائل الحلال والحرام فمنها ما لا يسع أحداً التقليد فيه وهي ما علم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وما أجمع عليه من كلياتها وقرونها فإن أدلتها وأعمالها متواترة... ومنها فروع دقيقة مستنبطة من أحاديث غير متواترة لم يطلع عليها جميع المسلمين وقد مضت سنة السلف الصالح في

١- تفسير المنار ج ٢ ص ٩٨. ٢- سورة محمد آية ١٩.

٣- سورة ٤- سورة ١

٥- تفسير المنار ج ٢ ص ٦٨.

مثلاً بأن من بلغه حديث منها بطريق يعتقد به ثبوته عمل به ولم يوجبوا على أحد ولو منقطعاً لتحصيل العلم أن يبحث عن جميع ما روى من هذه الأحاد ويعمل بها كيف والصحابة عليهم الرضوان لم يكتبوا الحديث ولم يقصدوا لجمعه وتلقيه للناس بل منهم من نهى عن كتابته ومن حدث فلما كان يقول ما يعلم إذا عرض له سبب مع المخاطبين فمثل هذه القروح يهذر العاصي بجهلها بالأولى ويجب عليه التحري في قبول ما يبلغه منها فلا يقبل رواية كل أحد ولا يسلم بكل ما في الكتب لكثرة الموطوعات والضعاف فيها (١١)

ويرى الإمام محمد عبده أن هذه المنهج لا مشقة فيه ولا حرج إلا لمن أراد أن يشرك دينه ويكتفى ببعض العادات والتقاليد التي نقلت إليه عن طريق أجداده وأبائه والتي لا يستطيع الإنسان أن يميز فيها بين السنة والبدعة حيث يقول (لا مشقة ولا حرج على المسلمين في إنقزام هذه الطريقة إلا إذا كانوا يريدون ترك دينهم برمته إكتفاء ببعض العادات والأعمال التي لا يكاد يسهل عليهم تمييز السنة فيها من البدعة تقليداً لأبائهم ومعاشرهم) (١٢)

ثم بين الإمام أنه لا عذر لأحد في التقليد وأن المقلد مشرك معده حيث يقول عند شرحه لقوله تعالى (إذ تبرا الذين أتبعوا من الذين أتبعوا رءو العذاب وتلقطت بهم الأسباب... الآية) (١٣)

(لا عذر لأحد في التقليد وأن حكم الآية يستغرق جميع المقلدين فهم إتخذوا مقلديهم أنقاداً وسيجبروا المتجوع من التابع أن يردن العذاب وتلقطت بهم الأسباب) (١٤)

ويعد أن بين الإمام فساد التقليد في العقيدة والشرعة وبين أنه لابد من النظر العقلي المفيد لليقين الذي تطنش إليه النفس نراه في موضع آخر يقيم الدليل العقلي على فساد التقليد ويبين أن المقلد كافر وأن ذلك هو ما أجمع عليه العلماء ولا سيما

١- تفسير المنار ج ٢ ص ٦٨، ٦٩. ٢- المرجع السابق ج ٢ ص ٦٩.

٣- سورة البقرة الآية رقم ١٦٦. ٤- تفسير المنار ج ٢ ص ٦٩.

### الأمم الأشعرى: حيث يقول

( قد جمع أهل التحقيق من كل طائفة خصوصا الشيخ الأشعرى على أن المقلد في أصول دينه ليس بمستيقن وكل من ليس بمستيقن في الأصول فهو على ريب فيها وكل من كان كذلك فهو كافر<sup>(١)</sup> )

أما الكبرى فظاهرة. وأما الصغرى فقد أقمنا عليها برهاننا حاصله:  
أن المقلد إما أن يعلم حقيقة ما عليه بمقلده، أم لا.

١- يقول الإمام السنوسي ( وأختلفوا في الاعتقاد الصحيح الذي حصل بمحض التقليد فالذي عليه المشهور والمحققون من أهل السنة كالشيخ الأشعرى والاصفا ( أبو إسحاق الأسفرائيني ) والقاضي الهالواني ) وإمام الحرمين ( الجرجاني ) وغيرهم من الأئمة أنه لا يصح الاكتفاء به في العقائد الدينية وهو الحق الذي لا شك فيه وقد حكى غير واحد الاصصاع عليه وكأنه لم يعتد بخلاف الحشوية وبعض أهل الظاهر إما لظهور فساد وعدم متانة علم صاحبه أو لإنعدام إجماع السلف قبله على منعه ) أنظر عمدة أهل التوفيق شرح عمدة أهل التوحيد الكبرى للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسيني ط أرفى مصطفى الباهي الحلبي سنة ١٣٥٤ هـ سنة ١٩٣٦ م ص ٣٩ هذا وقد استدلك أصحاب هذا الرأي بأدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة وما أجمعت عليه الأمة.

وقد أقام الهالواني دليلا على فساد التقليد خلاصته: أن التقليد على علم التوحيد معناه لا شيء. أما يؤمر بتقليد من شاء، أو بتقليد الحق، أو بتقليد من غلب على ظنه أنه حق، والأمر بتقليد من شاء يلزم منه أن من قلد كافرا يكون مختلا وهو خلاف الإجماع وإن أمر بتقليد الحق فإما أن يؤمر بتقليد الحق عند الله تعالى بحسب نفس الأمر وإما يؤمر بتقليد المخف عند الله بحسب محله هو بكونه صحيحا، والاول من التكليف مجالا بطاق لأنه ليس في تحقير المرء العلم بالحق عند الله والتكليف مجالا بطاق بالحق، والثاني لا يعلم كونه صحيحا إلا بعد انظر القسم: وإذا نظرا خرج عن كونه مقلدا: وإما بتقليد من غلب على ظنه أنه على الحق كما في الفروع لزم أن من قلد مبتدعا أو كافرا في نفس الأمر يتأذى على ما يربيع عنده من كونه صحيحا : بكون مختلا: والاصصاع على خلافه: أنظر عمدة أهل

ليس بعد العلم إلا التردد أو الجزم بالنقيض

وعلى الأول : إما أن يعلم الحقبة بنظره أو بتقليد آخر، على الثاني ننقل الكلام إليه ويتسلل وعلى الأول: قد صار مجتهداً ناظراً لا مقلداً وهو خلاف المقروض وليس بطلان التسلسل لما يبرهتون عليه بل لاستلزامه عدم العلم إذ لم يصل إلى ما به يعلم فإذا كل مقلد ليس بمحقق<sup>(١)</sup>

وإذا كان الإمام قد أثبت أن التقليد فاسد وأن المقلد كافر وأنه لا بد من النظر والتحقيق فإن هناك أصولاً في الدين تدرك بالنظر وأصولاً أخرى لا تدرك إلا عن طريق السماع فكيف السبيل إلى ذلك؟

يجيب الإمام على ذلك بأن الإنسان المشددين واجب عليه النظر لإقامه الأدلة اليقينية على إثبات وجود الله ثم إثبات النبوات بكل ما جاءت به مع التسليم والتصديق والتفويض حيث يقول:

( وألحق الذي يرشد إليه الشرع والعقل أن يذهب الناظر المشددين إلى إقامه البراهين الصحيحة على إثبات صانع واجب الوجود )<sup>(٢)</sup> ثم منه إلى إثبات النبوات ثم يأخذ كل ما جاءت به النبوات بالتصديق والتسليم بدون فحص لما تكنه الالفاظ إلا فيما يتعلق بالأعمال على قدر الطاقة ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحة وكل ما أدت إليه ما كان لكن بقاية التحري والاجتهاد<sup>(٣)</sup>

وإذا كان الإمام محمد عبده قد وافق جمهور المحققين من العلماء في رفض التقليد وجوب النظر فهل يوجد فرق بين التقليد والاتباع أم لا؟

١- الشيخ محمد عبده بين الفلاحة والكلاميين تحقيق وتقديم د/ سليمان دنيا القسم الأول ص ٢٣ - ٢٤

٢- الملاحظ أن التعبير غير مفهوم فربما أن هناك خطأ مطبعياً وللفظ مفهم على أساس القول ( إثبات

الصانع - واجب الوجود )

٣- المرجع السابق ص ٢٥